اليها هي ادنى من درجة الحرارة التي يرتاح اليها هو ويمكنها ان تخفف ثيابها اكثر منهُ وانخفاض الحرارة خير من ارتفاعها ويجب ان يبقى الهواء متحركاً اما بالمراوح الكهربائية او بفتح النوافذ فذلك ادعى الى النشاط ومنع النعاس . نعم اذا اصاب مجرى هواء صغير قسماً محدوداً من الجلد الداني سبب ضرراً ولكن اذا كان المجرى كبيراً تحول ضرره الى نفع . والهواء المتحرك يزيد القوة على العمل واذا بقيت حرارة الهواء على درجة واحدة ذهبت بالنشاط . ولا تخافوا من فتح الشبابيك في غرف النوم . وقد جعل البعض يداوون الامراض بالهواء المطلق البارد فنجحوا بعض النجاح في ذلك وليس عملهم هذا بلا مسوغ علمي . ويمكن اختصار كل ما وصل اليهِ علماء هذا العصر في ما يختص بالهواء بهذه الكلمات وهي . احرصوا على ان تظل اجسامكم باردة برداً معتدلاً

هذا ما نعرفهُ الآن ولكن الحقائق العلمية تظل عرضة للنقض فلا يبعد ان يأتي زمان لتغير فيهِ آراء العلماء في الهواء وقد ينقض كل ما نعتقد صحتهُ الآن

المرأة والتمدن (١)

كلمة شكر اقدمها الى سعادة رئيس هذا النادي وحضرات اعضائهِ الكرام . اني اشكر لهم حسن ظنهم بي ، والبي الدعوة التي شرفوني بها بغاية السرور . حسن ان يقف المرء في وسط قومه ولو مرة في العمر ، متناجياً من نفوسهم ذلك الجزء الاكثر حساً بما يتراكم على قلبهِ من الافكار الجميلة المضنية ، ساكباً امامهم بعض ما يجول في نفسهِ من الامالي العزيزات والرغبات الخالدات

نادٍ شرقي يزينهُ حضور شرقيون . ان نفسي الشرقية لتهتز طرباً لهذا الموقف وسأتكلم بصراحة وثقة ، كأني الطفلة الاولى من عائلة كبيرة ذات لطف وتسامح . طفلة تتكلم بلا خوف ولا وجل ، مستمدة لرعاية من هم حولها ، مستبشرة بدلائل الانتباه البادية في انظارهم وابتسامة التشجيع المرتسمة على شفاههم ولا محل للعجب اذا تجاسرت على الكلام في ليلة تسمعكم صوت الدكتور غير . ان الساقية الصغيرة لا تفقد معناها بقرب النهر الكبير ، بل ان جمال تدفقهِ يكسب ضعفها قوة وتعطيها جيرتهُ مجداً وفخراً

(١) خطبة القيت في حفلة النادي الشرقي في العاصمة مساء الثالث والعشرين من أبريل امام جمهور كبير من اعضاء النادي والسيدات زوجاتهم وبناتهم

الموضوع

ايها السادة والسيدات : نحن في فصل الربيع والحياة تنبض بقوة في كل جزء من اجزاء الكون ونيسان (ابريل) رسول الجمال وفي النور يسلم انفاسهُ الاخيرة تاركاً جمالهُ وانوارهُ في ذمة ايار (مايو) ملك الورود . اذاً لست بحاجة للبحث عن موضوع احدثكم بهِ فان الفصل المار بنا يوحي اليَّ موضوعاً جميلاً : الازهار . تلك المخلوقات العجيبة التي لا تراها نفس محساسة الاَّ وتشعر بانها ازاء سر غامض قد التف بالوان الحدائق والرياض وستر معانيهُ بعطورها . على ان الوقت ليل ، ورداء الظلام يحجب عن النواظر وضوح الاشياء والازهار التي تفتح في النهار ورقاتها كاعلام نصر منشورة ، تنكمش للامسة الليل لان رطوبة الليل تذبلها . لكني سابدلها بزهرة اكثر منها جمالاً واتم شكلاً وادعى الى التفكير واحرى باهتمام ذوي القلوب الغيورة الرحيمة . تلك الزهرة التي تضم في كيانها آيات الحسن الكبرى واسرار الحنان الذي لا يدرك ولا ينقضي

تلك الزهرة التي يعذبها ظمأ الحرية وتجاذبها العواصف وتتقاذفها صرعات الزمان منذ اجيال طوال فلا ينقصف غصنها ولا يلتوي . تلك الزهرة الثابتة التي تناول الدهور امال المستقبل وتنقل من ذرية الى ذرية قبس الحياة العظيم

لقد عرفتم تلك الزهرة العجيبة ، هي المرأة !

تهقر نصف الانسانية

ايها السادة والسيدات : لقد طافت المدنية انحاء العالم وتلألأت انوارها في القارات الثلاث تباعاً : في الشرق حيث جعلت احاديث الاقدمين الفردوس الارضي انقدت شرارتها الاولى فكانت المدنية كالشمس بازغة من بلادنا . وبعد ان نقلت خطوتيها الاوليين المجيدتين في اسيا وافريقيا تناولتها يد اوربا ورفعتها في جو الجهل المظلم وهزتها كقبس سحري قائلة : « انيري العالم ! » فاستنار العالم وغمرنا ضياء العلم الساطع . وكأني بالمدنية قد ذكرت بانها اكثرت من الخسارات الى العالم القديم فذهبت تسعى الى ما وراء البحار البعيدة في ذلك العالم الجديد الذي لا تقاليد تقف عثرة في طريق نجاحهِ ولا هو موثق بسلاسل عادات قديمة لا تعني شيئاً سوى انها تجعل الحياة على عاتق الاحياء عبئاً ثقيلاً . في ذلك العالم البكر الذي قال فيهِ احد كبار المفكرين « ان كولمبس اكتشفهُ بينما كان لوثر يحاول هدم العالم القديم »

اجل . لقد طافت المدنية انحاء العالم ، ولكن ما حالنا بها ؟ لقد ظهرت معجزاتها في

اكتشافات البشر وعلومهم وفنونهم واساليبهم وكيفية معيشتهم الا ان الشقاء ما زال شقاء . ما زلنا نشاهد حولنا الحرب والفقر والمرض والقتل والانحطاط النفسي والعاهات الاخلاقية على تعدد انواعها . وما برحت الشعوب تشكو حكوماتها والاوطان تشق بابنائها والعائلات تتعذب بافرادها والافراد ترجع ببيوطا وتشق بغرائزها المتناقضة عن وراثات بعيدة وقريبة . كلا ! ان المدنية لم تأت بتمام واجبها بعد ولم تصلح من الاحوال الا البعض اليسير او المتوسط . وانتم ايها السادة والسيدات تعلمون سبب ذلك النقص وتعرفون موضع الضعف من مدنية القرون المنصرمة . ذلك الضعف الشائن والنقص الماثل ليس الا تقهقر نصف الانسانية ، هو جهل المرأة !

قال هوجو : ليس الرجل وحده الانسان ولا هو المرأة وحدها بل هما الانسان والانسان هما . كل جنس دون اخيه نصف فقط ولا يصير عدداً كاملاً الا اذا اضيف اليه النصف الآخر . لا صحة للمرء الا بسلامة دماغه وقلبه ولا سعادة للرجل الا بسعادة المرأة

تاريخ المرأة استشهاد طويل . كيف كان يراها المتقدمون ومنهم افلاطون

سعادة المرأة : سل عنها الدهور المندرجة في هاوية الزمان ، لو كان للدهور لسان لأنبأتك بما يدمي الفؤاد . المرأة ! لقد جعلتها المسيحية حيواناً بيتياً وحسبها الجهل متاعاً ممتلكاً للرجل يستعمله كيفما شاء ويهجره اذا اراد ويحطمه اذا خطر له في تحطيمه خاطر . كانت بعد ذلك عبدة شقية واسيرة ذليلة ثم ارتقت مع مرور الاجيال الى درجة طفلة قاصرة الى لعبة يلهو بها السيد في ساعات الفراغ الى تمثال بهرجة تتراكم عليه الاثواب والجواهر الثمينة . ومن منا يدري بما كانت تستره الاثواب الحريرية والجواهر الثمينة من قروح القلب الدامية التي لم يضمدها بشر ؟

تاريخ المرأة استشهاد طويل أليم ، ومن اغرب الغرائب انها لم تجد لها في القدم صديقاً ولا نصيراً . كانت عامة الشعب تكرهها وتحتقرها وليس ذلك بكثير على قوم جاهلين تحجرت منهم القلوب وصمت الافهام فهم لا يدركون شيئاً مما يتجاوز دائرة شخصهم الصغير لكني ارى الامر عجيباً بل فظيعاً من رجال نحسبهم نوابغ زمانهم وقادة افكار العالم . لم يذكر شعراء اللاتين من المرأة الا جمال جسدها وليس في قصائدهم ما يدل على تلمس آثار النفس وراء ظواهر الجسد وجميعهم متفق على تسميتها الشيطان الجميل او ينبوع المسرات السامة . وشعراء اليونان اسخيلوس واوريبدس وغيرهما يسمونها — ببساطة كلية ! —

« بلية العالم » . اما الفلاسفة فاكتفي بان اذكر هنا كبيرهم افلاطون ، افلاطون الالهي الذي يعتبره تاريخ الفكر امة بأسرها . افلاطون ذا الاحلام الفاضلة والمبادئ السامية الذي لم يترك موضوع اصلاح سياسي او ادبي الا عالجهُ رغبة في اسعاد العالم ، افلاطون لم يفكر قط في تحسين حالة المرأة ولم يهتم في درس اخلاقها واستكشاف درجتها العقلية والاستعدادية ماذا اقول ! ان افلاطون هذا قضى حياتهُ آسفاً لانهُ ابن المرأة وكان يصرح تصريحاً بازدرائهِ امهِ ويعتقد ان من كان جباناً من الرجال في هذا العالم تعتد ولادتهِ في عالم آخر تتقمص روحهُ في جسد حيوان او في جسد امرأة . وما علم افلاطون ان امرأة ستعلم فلسفتهُ في (مدرسة الاسكندرية) وان تلك المرأة لا يمنعها شبابها الغض وجمالها الرائع ان تكون اعلم علماء عصرها . تلك هي الفتاة هيباشيا ابنة ثيونوس الرياضي الشهير التي قتلت رجماً في شوارع الاسكندرية في اوائل القرن الرابع فذهبت شهيدة علمها واخلاصها ورغبتها في اشهار التعاليم الافلاطونية

اول من رفع شأن المرأة صاحب الشريعة المسيحية وصاحب الشريعة الاسلامية

اول من عطف على المرأة واسمعها كلمات الاشفاق والغفران هو يسوع الناصري . وهو اول من سوى بينها وبين الرجل اذ جعل لها خطة واحدة تفضي الى ثواب واحد والا فللصالحين عقاب واحد . على ان النصرانية حرمتها من وظائف الكهنوت وما برح طائفة من اللاهوتيين يعتبرونها قارورة الخطايا والآثام

ثم جاء نبي الاسلام فرفع شأنها اي رفعة في بلاد العرب اذ حرم وأد الفتيات وسوّاها بالرجل في جميع الحقوق والواجبات الا في الشهادة والميراث فان امرأتين تساويان رجلاً . وفي ما عدا ذلك فهي والرجل سواء في جميع الحقوق المدنية ويقول العارفون ان لها الحقوق السياسية ايضاً . والمسلمات لهنَّ ان يكنَّ فقيهات وكانت اول فقيهة منهن عائشة زوجة صاحب الشريعة الاسلامية

وعليَّ ان اذكر هنا اسمي بلوتارك ودانتي وهما اول من لمس نفس المرأة من طغمة الشعراء والمفكرين لقد جعلا لقصائدهما عرائس شعر تتجلى فيهنَّ ملكات الجمال الادبي وهما اللذان ترنما للمرة الاولى بذكر المرأة ذات النفس السامية والذكاء الوقاد ومقدمة عثرات الجنس القوي . من منا لا يعرف لورا وبياتريس ؟ ان هذين الاسمين لا يفترقان عن اسمي بلوتارك ودانتي وسيكونان ابداً المثل الاعلى الذي تود كل امرأة ان تكون صورة لهُ . هذا

المثل الجميل الذي مرّ في مخيلة دانتي فصوره في شعره الساحر وقد اخترق ظلمات القرون الوسطى كبرق ساطع . ثم جاء كبير شعراء العالم شكسبير فجعل ابطال اكثر رواياته من النساء الجميلات ذوات النفوس الكبيرة تتلامس في قلوبهن بلطف يشبه تموجات النور في الهواء اقوى واعذب شعائر المحبة باسمى واوسع عواطف التضحية . وكذلك كانت النساء في روايات كورنيل وكلكم ذاكر بلا ريب براين وكاميل وشيمان

لم يكن جميع مفكري القرون الوسطى من رأي شكسبير وكورنيل بل كان معظمهم مبغضاً للمرأة ساخراً بها ان لم يكن طاعناً فيها . ولقد اختصر بوسويه اسقف مو افكار معاصريه واوردها في جملة واحدة . قال بمجديته الخطبوية الشهورة : المرأة خلقت من ضلع زائدة في جنب الرجل فلهذا السبب هي عقيمة لا ذكاء في عقلها ولا ادراك في نفسها . رحمة الله عليك يا بوسويه انك لم تكن نبياً اما كون المرأة مخلوقة من ضلع الرجل فهذا امر لا رأي لي فيه غير اني افضل ان تكون مخلوقة من عصير قلبه وعواطفه

فذلك كانت المدنية عرجاء

ايها السادة ! لنس هذه الاقوال العتيقة ولننظر الى احوال الحاضر . ان النهضة النسائية تمتد يومياً في اقاصي المسكونة . انها لنهضة عجيبة تبشر بخير عظيم وتنبئ بان مدنية الامس العرجاء التي لم تمكن الا على ذراع جنس من الجنسين هي غير مدنية الغد المتمتعة بتحقيق اجمل الاماني الجائلة في قلب الانسان . ليست مدنية الغد مدنية الرجل وحده بل هي مدنية الانسانية لان المرأة آخذة بالصعود الى مركزها الحقيقي بقرب الرجل . ان موجة النور ، نور الارتقاء النسائي تزداد ارتفاعاً واتساعاً مع الايام . في فرنسا وانجلترا واميركا والمانيا وايطاليا تجاهد المرأة جهاد الابطال في سبيل ترقية جنسها وترقية النوع البشري معها . ولقد نالت جميع حقوقها في اسوج ونروج وفنلندا وزيلاندا الجديدة وفي بعض الولايات المتحدة ، فهي الآن والرجل سواء ادبياً ومدنياً وسياسياً ايضاً . وفي كل من هذه البلاد كان تأثيرها نافعاً جميلاً ، وحيث تقلدت الوظائف العمومية قد قلت الجرائم وخفت وطأة الشر وظهر تحسن محسوس يكاد يكون ملموساً في مستوى اخلاق الامة وفي حالتها الصحية جميعاً . هذه هي المرأة الجديدة ومستودع آمال المستقبل

ما تفعله اليوم المرأة التي قالوا انها لا تصلح الا لخدمة البيت

كم قالوا فيها انها لا تصلح الا لخدمة البيتية والزينة الجسدية وها هي مصلحة كبيرة ومفكرة عاملة . وكم قالوا انها حيوان جميل وشيطان لطيف وها هي ملاك كريم يحاول افهام الرجل ان

في الحياة عنصراً سامياً هو كل الحياة . وكم قالوا انها كاذبة خبيثة وان الصدق والاخلاص بعيدان عنها بعد الشمال عن الجنوب وها هي آخذة في تهذيب نفسها وملاشاة العاهات التي سوحتها في ازمنة العبودية . وكم قالوا انها مترددة حائرة ذليلة لا تقوى على توليد فكر ولا تحتمل المسئولية وها هي عزيزة النفس شديدة الحرص على الاستقلال مخلصة بحرقة على معاني الحياة العميقة . وكم قال فولتير ان فكرها سريع العطب وانهُ يحطم تحطماً اذا حاول استفهام ناموس علمي . غريب ان يقول فولتير هذا القول لانهُ لم يفهم كتابات نيوتن الاَّ بواسطة امرأة هي صديقتهُ مدام دي شاتليه ومعربة كتاب نيوتن في ناموس الجاذبية . ثم اذكروا مدموازل لابلاس وماري كوالسكي ومدام كوري وملايين من النساء المشتغلات في العلوم الطبيعية والعلوم المجردة والفنون والصنائع والحرف المختلفة . في فرنسا خمسة ملايين من النساء يشتغلن حاملات في قلوبهن المسؤولية العائلية والهموم الكثيرة . يخترقن سبل الحياة المحفوفة بالكوارث والاوجاع داميات القلب ولكن شريفات النفس شريفات المقاصد . ومثل ذلك في انكلترا وفي الولايات المتحدة حيث عدد المطلقات فقط يكاد يبلغ الاربع مئة الف . ويقول الاحصائيون ان في مصر نحو مليون ونصف من السيدات المتعاطيات الاشغال العمومية

قالوا ان العلم يذهب بملكاتها

وكم قالوا ان المعارف لم تخلق للمرأة وان العلم يذهب بجمالها وتواضعها ولطفها وانهُ يجعلها متكبرة جافة محتقرة العائلة عازفة بالرجل . وها نحن نراها اذا تعلمت زادت جمالاً وحنانًا اكيداً واحتراماً للعائلة واجلالاً للرجل . انها الآن تفهم معاني الحياة وتريد بكل قواها تربية نفسها واعلاء مدارکها وتربية شخصيتها الجميلة واستخدام ملكاتها في بث الخير والسعادة حولها وعلى كل ما يحيط بها . المرأة الراقية وحدها تعرف ان لها فخراً رئيسيًّا واحداً وهو ان تكون اماً بكل معنى الكلمة وبجميع المعاني التي تحتملها هذه الكلمة . وهي وحدها تعرف انها كانت الى اليوم ام الجسد فقط وتحاول ان تصير ام الروح ايضاً ام العواطف وام الافكار وام الميول والمهذبة الكبرى والصديقة العظمى

قالوا لا عقل لها

وكم قالوا انها لا عقل لها وان حياتها سلسلة اهواء متتابعة وتقلبات صبيانية تافهة وها انا نراها بعيدة النظر ثابتة المقاصد منرقة منفعتها الشخصية في بحر المنفعة العامة . انظروا الى

روسيا حيث النساء تألم الرجال وأكثر روسيا حيث الثورة الفكرية تهيئ حقاً الثورة السياسية ، كم من فتاة حسناء قد ضحت خطيبها ومستقبلها وهناءها حباً بمصلحة وطنها واشتركت في جمعيات تظن ان في تأييدها خيراً للبلاد

انصار المرأة ومن هم

المتهكمون على المرأة كثيرون في هذا العصر الفوضوي ولكن انصارها أكثر وهم من ذوي النفوس الكبيرة والرؤوس المفكرة بل هم اسمى واشرف رجال زماننا . انهم يحترمون جهادها ويعترفون بحقوقها ويقرون بما تأتيه من الاصلاحات الباهرة ويعجبون باقدامها وثباتها ويرون في نهضتها ايدياً جديدة عاملة لخير الانسانية وتخفيف الويلات عنها . أليس فيكتور هوجو هو القائل ان تحرير المرأة يحل اكثر المشاكل الاجتماعية وبعض المشاكل المدنية وانهُ ينتظر منها وحدها الغاء الحرب في العالم ؟

شرارة الحياة في مصر . صوت المرأة من اعماق الدهور

وهو القائل ايضاً ان القرن العشرين هو عصر المرأة . ولقد صدق في نبوته ! في كل مكان تفتح المرأة عينها لنور الحياة حتى في اطراف الشرق الاقصى ، في الصين واليابان ، وفي تركيا . وهاانا ارى شرارة الحياة تشتعل في مصر ايضاً حيث الرجال يساعدونها باقلامهم وبالسنتهم وبمثالهم ، وجل ما يتمنون هو ان تستحق النساء عنايتهم واهتمامهم بامرهن . اجل في مصر تكسر القيود الدهرية التي طالما عذبت فكر المرأة ونحن اليوم عند عتبة مستقبل باهر . ففي مصر تشتعل شرارة الحياة والاّ فماذا يعني وقوفي بينكم ايها السادة وماذا يعني سكوتكم الجميل المملوء اصغاء تاماً وتشجيعاً قوياً وتفكيراً عميقاً ؟ أتكلم الآن بحرقة كأني صوت المرأة الصامت منذ اجيال وتستمعون اليَّ باشفاق كأنكم نفس الرجل المشتتة منذ ابتداء الدهور . النفس الكبيرة المجمّرة تستجمع قواها للاصغاء والصوت الخافت الذي لم يتعود الاّ همس الطاعة العمياء وتمقة التمرد المبهم يرتفع الآن آتياً من بعيد من عمق اعماق الدهور السوداء من اقصى اقاصي الخليقة العجيبة آتياً من القبور من البحار من عناصر الحياة جميعاً صارخاً : ايها الرجل لقد اذللتني فكنت ذليلاً حررني لتكون حراً حررني لتحرر الانسانية